جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

المستوى: سنة أولى ماستر

التخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط **الأستاذ:** حاجي فاتح

مقياس: "جغرافية" الخرائط

مدخل إلى علم الخرائط

- تمهيد:

لقد احتاج البشر إلى الخرائط منذ زمن بعيد جدا، لذلك صنعوها واستخدموها، هذا ما تؤكده الآثار التي وصلتنا، فمعظم الحضارات وفي مختلف الحقب الزمنية استطاعت أن تصنع الخرائط الخاصة بها، وكان لانتقال الأفكار الخرائطية بين الحضارات المختلفة – وهذا أمر ثابت في غالب الأحيان – أثر بليغ في التقدم الحاصل في هذا المجال. "موضوع الخرائطية" ولحد اليوم ما زال يكتسي أهمية بالغة، خاصة مع تطور وسائل وأدوات رسم الخرائط، وطرق وأساليب عرضها وتحليلها.

هذه المحاضرات موجهة لطلبة التاريخ (تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي)، والهدف من ورائها دفعهم إلى اكتساب المعارف النظرية التي تشكل المبادئ الأساسية الخاصة بهذا العلم (علم الخرائط)، كما تسمح لهم بإدراك أهمية الخرائط في ميادين الحياة عامة، وفي تخصصهم بصفة خاصة، سواء كانت هذه الخرائط موضوعا للبحث أو أداة من أدواته.

1- مفهوم الخريطة:

من الناحية اللغوية كلمة "خريطة" استعملها العرب للدلالة على وعاء من جلد ونحوه يُربَط على ما فيه، فيقال خَرَطَ أشْياءهُ أي وضعها في الْخَرِيطَةِ، أيْ في كِيس، وقد ورد هذا اللفظ في حديث أم سلمة الوارد في مسند الإمام أحمد والذي نصه: "أَكْثَرُ مَا عَلِمْتُ أُتِيَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ مِنَ المَالِ لَخَرِيطَةٌ فِيهَا ثَمَانُمِئَةِ دِرْهَمٍ"[1] ولازال هذا اللفظ "الخريطة" يستخدم في المشرق العربي (بَوادي الشام، العراق، وجزيرة العرب) للدلالة على كيس أو حقيبة من جلد أو قماش يلف بها ضرع الماشية حفاظا على حليبها، لكي لا ترضعه صغارها.

ولفظ "خريطة" المستخدم حاليا في اللغة العربية، إنما شاع استعماله منذ عهد محمد علي، كترجمة للكلمة الفرنسية *Carte*، وفي الحقيقة استخدم العرب والمسلمون قبل ذلك عدة تسميات منها الجغرافيا، صورة، أو المُصوَّر، المُخطَّط للدلالة على الخريطة بالمفهوم الحالي.

من الناحية الاصطلاحية هناك مفاهيم عديدة للخريطة منها:

- تمثيل هندسي مستوي مبسط، لكل أو جزء من سطح الأرض، وذلك بموجب علاقة متشابهة وملائمة والتي ننسبها للمقياس، هذا المفهوم قدمه رسام الخرائط فرناند جولي (*F. Joly*).

- الخريطة لغة رمزية وأداة تعبيرية، وحصيلة كل ما تم إدماجه في صورة شمولية للمجال، وهذا المفهوم قدمه الجغرافي الفرنسي بيار جورج (*P. Georges*).

- تمثيل اتفاقي، مسطح بشكل عام، بالمواقع النسبية، لظواهر حقيقية، أو وهمية، يمكن تحديدها مكانيا، هذا المفهوم حسب مركز الخرائط الفرنسي.

- الخريطة رسم تخطيطي يمثل سطح الأرض كله، أو جزء منه، بحيث يتم فيه توضيح الحجم النسبي والموقع لذلك الجزء، بناء على استخدام مقياس رسم معين للتصغير، مع اعتماد مسقط خريطة محدد من المساقط المعروفة، مما يساعد على توضيح الظواهر الطبيعية والأنشطة البشرية المتعددة للمنطقة الجغرافية، هذا المفهوم قدمه أحمد جودت سعادة.

[1] – معجم الدوحة التاريخي للغة العربية (مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناووط وآخرين، الرسالة، بيروت، 1995 44/197 (رقم الحديث: 26573) متاح [على الرابط]، 2020/09/22 خَرِيطَة/*https://www.dohadictionary.org/dictionary*

من المفاهيم السابقة يتضح أن الخريطة: تمثيل لسطح الأرض الكروي أو جزء منه على سطح مستو برموز استدلالية متفق عليها، وبمقياس رسم معين، ووفق نمط إسقاط محدد.

2 - مفهوم علم الخرائط

- "علم الخرائط"[1] في اللغة العربية، يقابل *Cartographie* في اللغة الفرنسية و *Cartography* في اللغة الانجليزية، وكلاهما مأخوذ من الأصل اليوناني، وهي كلمة مكونة من مقطعين: *Carte* وتعني الخريطة، *Graphie* وتعني الرسم.

- يعرفه بطليموس[2] على أنه "تمثيل خطي لأجزاء الأرض بكل ما هو موجود عليها من علاقات".

- يعرفه الاتحاد الكارتوغرافي الدولي *(ICA[3])* "فن وعلم وتقنية لصنع الخريطة ودراستها، كوثيقة علمية أو كعمل فني".

- رسام الخرائط آرثر روبنسون *(Arthur H. Robinson* 1915- 2004) يعرفه على أنه "فن وعلم وتقنية لعمل خرائط سطح الأرض أو الأجسام الكروية الأخرى".

- يعرفها بافيشيج "علم يبحث في الخرائط الجغرافية، وهذا يعني أنه يبحث في تطور الخرائط وجوهرها وطرق وعمليات إنتاجها ونشرها، وكذلك في إمكانية استخدامها للأغراض التطبيقية".

- محمد سطيحة يرى أنه: "كل عمليات صناعة الخريطة ابتداء من عملية المساحة الحقيقية على الأرض إلى عملية طبع الخريطة".

من خلال ما تقدم يتضح أن علم الخرائط علم جغرافي قبل كل شيء لارتباطه بالمكان، وهو مادة البحث الجغرافية الأولى، وهو العلم الذي يتناول الأسس النظرية، وتقنيات وأساليب وضع وإنتاج الخرائط واستخدامها.

---

[1] يستخدم بعض الكتاب العرب كلمة "كارتوغرافيا" للدلالة على "علم الخرائط"

[2] كلوديوس بطليموس (90 – 161 م) من أعظم الجغرافيين، عاش خلال القرن الثاني الميلادي، صاحب كتاب "المجسطي" الشهير، ظل مرجعا للفلكين والجغرافيين في العالم حتى وقت متأخر

[3] *International Cartographic Association (https://icaci.org)*

بقيت الإشارة إلى أنه حتى وإن كانت الخريطة يجب أن تُوصِل ما تحمله من معلومات وأفكار وفق الأسس والقواعد العلمية، هذا لا يعني إغفال الجانب النفسي والذوق الإنساني (الجانب الفني - الجمالي) لأن الخريطة في النهاية تخاطب العقل الإنساني لذلك يُقال: "الخرائطي نصفه جغرافي، ونصفه الآخر فنان".

3 - أهمية الخريطة:

قراءة الخرائط - وفي كل الأحوال- تؤدي أربع مهام/وظائف، الأولى: تسمح بالتعرف على مواقع الأماكن، الثانية: تسمح بمعرفة المسارات والملاحة، الثالثة: التعرف على أنماط التوزيعات للظواهر المكانية، والرابعة: القياس كتحديد المسافات والمساحات.

وللخريطة أهمية بالغة، ليس فقط عند الجغرافيين، بل في مختلف التخصصات العلمية والمهنية، فالخريطة مثلما يحتاجها الجغرافي يحتاجها أيضا المؤرخ، ويحتاجها رجال الاقتصاد والسياسة، ورجال التعليم، ورجال الأمن و المُدرِسون، ومن المجالات التي تحتاج إلى الخرائط:

- الدراسات التاريخية والأثرية: من خلال:

- تحديد المعالم التاريخية كالمدن التاريخية، وأماكن المعارك ...الخ

- فهم سير الحروب

- شرح الخطط الحربية التي تم اعتمادها

- توضيح حدود الدول وتوسعاتها وانحسارها

- تحديد المواقع الأثرية

- "الخرائط القديمة" هي مادة الدراسة في بعض الدراسات التاريخية، فهي وثائق تاريخية وحضارية تسمح بدراسة تاريخ الفنون وتطورها، وما يرتبط بها من تطورات علمية وثقافية.

- الخرائط هي عِماد الأطالس التاريخية والأثرية

- الدراسات الجغرافية (دراسة سطح الأرض): هناك ارتباط وثيق بين الجغرافيا والخرائط، وهناك قول بريطاني شائع "الجغرافيا لا شيء بدون الخرائط - *Geography is nothing without maps*" فمن

خلال الخرائط يَطّلِع الجغرافي على سطح الكوكب، فهو ينجز ويستخدم خرائط التضاريس، التربة، الشبكة الهيدروغرافية، خرائط الشبكات، توزيع الأنشطة الاقتصادية، وتوزيع العمران...الخ.

- الدراسات الاقتصادية: تستفيد القطاعات الاقتصادية المختلفة مما تقدمه الخرائط مثل:

- خريطة الموارد الطبيعية مثل المساحات الزراعية، الثروة الغابية ..الخ

- خرائط المواصلات المختلفة (شبكة الطرق بمختلف أنواعها، سكك الحديد، المطارات، الموانئ، أنابيب نقل المحروقات)

- الخرائط والمخططات العمرانية

- مع التطور الكبير الذي شهدته الخرائط، أصبحت وسيلة فعالة واقتصادية في تسيير المجال، كما هو الحال في تسير المجال الحضري (المدينة).

- الأهمية العسكرية: الخريطة بالنسبة للعسكريين أداة بالغة الأهمية والخطورة فهي تمكنهم من:

- معرفة المواقع العسكرية

- تحديد مسالك الجنود والآليات العسكرية

- معرفة مواقع المنشآت الحيوية ...الخ.

- الأهمية التعليمية والتربوية:

تؤدي الخرائط دورا هاما في تطوير المعارف والحقائق الجغرافية، كما تسمح بتوقيع مختلف الظواهر مكانيا، فضلا عن التموقع في المكان، وتشكيل صورة ذهنية للإقليم والعالم، وهي أيضا أداة بيداغوجية جيدة في يد المُدَّرس والطالب أثناء العملية التعليمية-التعلمية، بواسطتها يتم تبسيط العلاقات - المعقدة والمتشابكة - القائمة في المجالات المختلفة، وتعتبر الخريطة أداة مشوقة وجاذبة للانتباه إذا أنجزت بشكل جيّد واستخدمت بشكل مناسب.